

ذكرى تهجير أهل الجنوب

الibas بحاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

صادفت يوم ٢٥ من شهر أيار ٢٠٠٣ الذكرى الثالثة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من الجنوب اللبناني، ذكرى الاتفاق السري المجحف بحق أهل الجنوب بين كل من حكومة حزب العمل في إسرائيل وسوريا وإيران وحكام بيروت وحزب الله، تحت مظلة الأمم المتحدة ممثلة بموفدها الخاص إلى عملية السلام في الشرق الأوسط تيري رود لارسن.

يومها انسحبت إسرائيل من الشريط الحدودي فجأة، ودون علم قيادة حليفها جيش لبنان الجنوبي، أو حتى تنسيق الانسحاب معه، وذلك تنفيذاً لاتفاق سري تم التوصل إليه بين الأطراف المذكورة أعلاه، قضى بتفكيك جيش لبنان الجنوبي، تجريده من سلاحه، وإقفال كافة بوابات العبور بوجهه بين الشريط وإسرائيل التي كانت فتحت قبل ٢٥ سنة، وذلك حتى لا يبقى لإفراده أي فرصة للمقاومة أو تعطيل الاتفاق بأي وسيلة أخرى. كما قضى الاتفاق بتسليم حزب الله الجنوب بكامله وتوكيله حماية وحراسة الحدود المشتركة بين البلدين، ومنع الجيش اللبناني من القيام بواجباته الوطنية. وبالفعل فقد شهدت الحدود الإسرائيلية اللبنانية خلال السنوات الثلاث المنصرمة هدوءاً لافتاً رغم بعض المناوشات المحدودة التي تم حصرها في مزارع شبعا، حيث يبدو أن الاتفاق نص على إبقائها مفتوحة وهكذا أعمال تفيد الأطراف التي التزمت به.

الحكم في بيروت، الحكم المحكوم بالكامل من قبل المحتل السوري، جعل من يوم ٢٥ أيار يوم عطلة رسمية وسماه يوم التحرير. علماً أنه لم يكن هناك تحرير، ولا محررون، بل انسحاب إسرائيلي متفق عليه دولياً وإقليمياً. هذا ولا تزال الأطراف المعنية ملتزمة ببنود الاتفاق حتى يومنا هذا، رغم المناوشات الإعلامية التي غالباً ما تخدم مصلحة المتناوشين كل على طريقته. نعم، لقد تحرر الجنوب من الاحتلال الإسرائيلي، ولكن لينضم إلى باقي أراضي الوطن المحتلة من قبل نظام البعث السوري. وهو بالتالي انتقل من احتلال ليقع تحت احتلال آخر.

المسؤول هو، مما تحرر الجنوب؟ لقد تحرر بالواقع من أهله الذين حموه طوال ٢٥ سنة، فيما كانت الدولة اللبنانية غائبة عنه، ومتخفية عن سكانه وعن مسؤولياتها تجاههم.

نسأل الذين يحتفلون اليوم بالعيد، عيد التحرير، فيما إذا كانوا بفرحتهم التحريرية يفتقدون لآلاف من أهلهم الذين هجرهم تحريرهم أو للآلاف القابعين في سجون دولة التحرير ظلاماً وعدواناً؟ ونسألهم عن معنى تحريرهم الذي جعل من ثلث سكان الجنوب مواطنين ملاحقين من قبل قضاء

مسيس يطعن بوطنيتهم وكرامتهم؟ ونسأل متى سنحتفل بانسحاب جيش الاحتلال السوري الكامل أمنياً وسياسياً وعسكرياً من كل لبنان، ومتى يتحرر من هذا الاحتلال القصر الجمهوري، ومقر مجلس النواب ومقر مجلس الوزراء؟

حزب الله لم يحرر الجنوب، بل اتفق مع إسرائيل على عملية انسحابها، وعمل منذ أيار سنة ٢٠٠٠ على حماية حدودها على أكمل وجه. هذه حقيقة يعرفها حتى الأغبياء. نعم لقد تحرر الجنوب، ولكن من أهله ومن سلطة الدولة ومن ولبنانيته. لقد تم تهجير الجنوبيين من أرضهم بعد أن صمدوا فيها وسقوها من دمهم واستماتوا بالدفاع عن قداستها بوجه كل الغزاة، من المنظمات الفلسطينية والأصوليين العرب، وكل المارقين الذين ضمتهم الحركة الوطنية.

إن حزب الله المذهبي، الإيراني السلاح والمرجعية والأهداف، أقام دولة له في الجنوب اللبناني، وهو يمارس أقصى أنواع الإرهاب الديني والفكري والثقافي والاجتماعي والمعيشي ضد الجنوبيين. من ظواهر هذا الإرهاب المتعددة، الاحتفال الذي فرضه الحزب على أهالي بلدة عين ابل المسيحية الحدودية، بمناسبة ما سمي يوم التحرير، في حين أن ما يزيد عن مئة من عائلاتها لا تزال مهجرة إلى إسرائيل وممنوع عليها العودة، فيما عشرات العائلات الأخرى مهجرة في أصقاع الدنيا الأربعة مثلهم مثل الآلاف من سكان الجنوب، وتحديدًا سكان الشريط الحدودي.

إن هرطقة إذلال أهالي الجنوب لن تستمر، وقد اقتربت ساعة شروق شمس الحرية على لبناننا. إن الاحتفال بعيد التحرير سيصبح حقيقة يوم يتحرر لبنان بكامله من الاحتلال السوري ومن مخابراته وكافة الدمى المنصبة في سدة حكمه رغماً عن إرادة اللبنانيين. لبنان سيتحرر يوم ينفذ القرار الدولي رقم ٥٢٠، ويعود البلد لأهله، ويعودون هم إليه مرفوعي الرأس.

لقد قدم الجنوبيون الآلاف من أبنائهم على مذبح وطن ال ١٠٤٥٢ كيلو متراً مربعاً، دفاعاً عن ترابه المقدس، وصوناً لكرامة بنية وحريرتهم. السؤال يطرح على كل ضمير الدين والدنيا معاً، دوم هؤلاء في أعناق من؟

لن نشارك المدمنين نشوتهم الكاذبة، فلهم لبنانهم ولنا لبناننا، ولبناننا ما زال بأكمله رازح تحت نير الاحتلال السوري وحكم واجهاته المحلية.